خروج الاستفهام بالهمزة على خلاف مقتضى الظاهر وأثره في بناء الدلالة السياقية (شعر الأعمى التطيلي أنموذجا)

The exit of the interrogative in the hamza, contrary to the apparent requirement, and its impact on building the contextual indication (The Poetry of the al'aemaa altatiliias a Model)

نوف سالم الشمري

أستاذ البلاغة والنقد المشارك

كلية الآداب والفنون

جامعة حائل

الملخص:

يعد الاستفهام من أبرز موضوعات الإنشاء الطلبي في البلاغة العربية، وتشكل استخداماته في شعر التطيلي ظاهرة أسلوبية تستدعي الدراسة؛ حيث تتعدد أشكال الانزياح فيه.

وقد جاءت هذه الدراسة لإبراز الصور التشكيلية التي من خلالها تم استخدام هذا النوع من الإنشاء وتحليلها للوقوف على أبرز معالمها البنائية التي تبرز فيها المستويات الحقيقية، ومستويات الانحراف والتجوز، ومن ثم محاولة قراءة هذا التنوع الأسلوبي في إطار جماليات التراكيب البلاغية، وقد تبين من خلال الدرس مدى مطاوعة النصوص في بناءاتها اللغوية للأغراض التي سيقت من أجلها، والتي تبرز في النهاية الدلالات السياقية المرادة وتتحكم في إنتاجها.

وقد انطلقت هذه الدراسة في تحليل هذه الظاهرة الأسلوبية وفق المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي مقتصرة على الاستفهام المعبر عنه بحرف الهمزة فقط؛ وذلك لكثرة التنوع في استخدامها ولاشتمالها على مفهومي التصور والتصديق.

الكلمات المفاتيح:(الأعمى التطيلي، مقتضى الظاهر، الإنشاء الطلبي، الاستفهام، الأسرار البلاغية).

Summary
The interrogative is one of the most prominent topics of demand composition in Arabic rhetoric, and its uses in Al-Tatili poetry constitute a stylistic phenomenon that calls for study. There are many forms of displacement.
This study came to highlight the forms through which this type of phraseology was used and analyzed to find out the most prominent structural features which reveals it's real levels and levels of deviation and sufferance. And then try to read this diverse stylistic within the framework of the aesthetics of rhetorical structures.
During the research it appeared the spread flexibility of texts in its linguistic constructions for which it was conceived, which ultimately highlights the desired contextual connotations and controls their creation.
This study headed to analyze this stylistic phenomenon according to the descriptive analytical and statistical approach, limited to the interrogation expressed by the letter Hamza only. This is due to the wide variety in its use and its inclusion of the concepts of perception and ratification.

Keywords: (Al Aama Al Tatili, Muktaza Al Zahir, Al-Insha Al-Talabi, Al-Istifham, Al-Asrar Al-Balagiyyah)

المقدمة

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد:

فتتناول هذه الدراسة ديوان التطيلي بشقه المتضمن الشعر العمودي القائم على التفعيلة والبحر ،بشيء من التحليل والوصف في إطار استخدام أساليب الاستفهام أحد موضوعات الإنشاء الطلبية، وكيفيات توظيفها في النصوص الشعرية للوصول إلى الدلالات السياقية، وتحاول استنطاق هذه الأساليب المتعددة المتنوعة لمعرفة مدى مواءمتها للاستخدام العربي العام من جهة، وخصوصية هذه الاستخدامات من قبل الشاعر، والبحث من جهة أخرى عما فيها من أسرار بلاغية كاملة في ضوء تحليل النصوص، كما تتطرق هذه الدراسة إلى معرفة عدد مرات الاستخدام في شعره لهذه الأساليب وفق المنهج الإحصائي. وقد خصصت الدراسة حرف الهمزة من بين أدوات الاستفهام لتكون مدارا للبحث، وسبب الاختيار يكمن في كون الهمزة هي أم الباب في الاستفهام، كما أنها تشمل نوعي الاستفهام التصوري والتصديقي، بخلاف بقية أدوات الاستفهام المخصصة للتصديق فقط كما هو الحال في حرف الاستفهام (هل)، أو للتصور كما هو الحال في بقية أسماء الاستفهام. ثم إن ورود همزة الاستفهام بكثرة في الديوان تستدعي النظر والدراسة باعتبارها ظاهرة أسلوبية متميزة فيه، على خلاف بقية أدوات الاستفهام.

إن اعتماد منهج الدراسة على استخراج الصيغ الاستفهامية واستعمالاتها وسياقاتها المختلفة ثم نقلها من حالة التجريد والتصور النظري إلى حالة التطبيق في المجال العملي كما يصوره المتكلم ويستوعبه المتلقي في طريق معينة يعد من الدراسات التداولية للاستفهام الذي يتطلب دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ بالصيغة من مضامين ومدلولات.

إن دراسة الاستفهام بالهمزة كسمة أسلوبية وتحديد وظيفتها في النص ودلالتها الكاشفة عن روح السياق يعد من المباحث البلاغية الحديثة التي تعين على إبراز الذوق الشخصي الخاص للمبدع بعد تقييم الكلام وتحليله.

التمهيد:

من المعلوم أن الكلام العربي ينقسم إلى أصلين عظيمين هما الخبر والإنشاء، والخبر كما جاء في معجم (لسان العرب) تحت مادة (خبر) العلم بالشيء، يقال: خبرت بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر أخبر إذا عرفته على حقيقته، والخبر: النبأ.[1]

وفي الصاحبي لابن فارس يقول عن الخبر:"...إنه إعلام، تقول: أخبرته أخبره، والخبر هو العلم. وينقل عن أهل النظر قولهم: أن الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من الزمان أو مستقبل أو دائم".[2]

وفي كتاب الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني قال: إن الخبر عند الجمهور ينحصر في الصادق والكاذب وصدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقته حكم؛ فالخبر إذن كما هو عند الجمهور: ما يحتمل الصدق أو الكذب باعتبار الواقع"[3]

وتنحصر أغراض الخبر في:

أولا: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبر ويسمى فائدة الخبر.

ثانيا: إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالخبر، ويسمى لازم فائدة الخبر.

---

(1)– ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرمبن علي، (ت: 711هـ–1311م)، *معجم لسان العرب* المطبعة الأميرية، مصر– القاهرة، (مادة خبر)

(2) – ابن فارس، أحمد بن زكريا، (ت:395هـ)، *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، تحقيق: أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، 1418هـ–1907م، ص 179.

(3) – القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت:682هـ)، *الإيضاح في علوم البلاغة*، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر، القاهرة: السنة المحمدية، ص 13.

ثالثا: وقد يفيد أغراضا أخرى تفهم من السياقات[1].كالاسترحام، وإظهار الضعف،...إلخ

وينظر إلى الخبر عند البلاغيين ويدرس أيضا من جهة كونه مؤكدا أو غير مؤكد، فإذا كان الخبر خاليا من التأكيد يسمى بالضرب الابتدائي حيث يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه، وإذا كان المخاطب مترددا فيه فهو الضرب الطلبي، قال السكاكي:" وإذا ألقاها إلى طالب لها متحيرا طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين لينقذه من ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ بإدخال (اللام) في الجملة أو (إنَّ)"[2]

" أما الضرب الثالث فهو الإنكاري، وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارا يحتاج إلى أن تؤكد لأكثر من مؤكد..."[3]

وصنو الخبر الإنشاء: وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب. وينقسم إلى قسمين: الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي، فالطلبي يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل[4] وأنواعه: الأمر، النهي، الاستفهام والتمني والنداء. وأما غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ومن أنواعه: الترجي، التعجب، وصيغ المدح والذم ...إلخ.

وقد نص البلاغيون على أن هذا النوع من الإنشاء (غير الطلبي) تقل فيه الأسرار البلاغية، فلا يدخل عندهم في دائرة الاهتمام. يقول مطلوب:" ولا يهتم البلاغيون بهذه الأساليب الإنشائية لقلة الأغراض المتعلقة بها؛ ولأن معظمها أخبار نقلت عن معانيها الأصلية، أما الإنشاء الذي يعنون به فهو الطلبي لما فيه من تفنن في القول"[5] ويعتمد الانتهاك في أساليب الإنشاء الطلبي والخروج على خلاف مقتضى الظاهر منها على الخصائص الفردية للمتكلم وعلى الفروق الفردية أو الطبقية أو البيئية، ومع ذلك فإن القرآن الكريم يعد النبراس الذي تقاس الأساليب في ضوء معطياته باعتباره الأثر اللغوي الخالد الواصل في الاستخدامات إلى أعلى درجات الإعجاز البلاغي، وبهذا يقول أبو العدوس:" لقد تعامل البلاغيون والنقاد والأدباء مع القرآن معاملة جعلت منه ومن قوانينه البلاغية قوانين حياتهم الأدبية ومقاييس للتفاوت في الفروقات الأدبية في مستواها الفني ...لقد اتجهت البلاغة في قوانينها

---

(1)عباس، فضل حسن، (ت:2011م)، أساليب البيان، ط2، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2007م، ص 38.

(2)- السكاكي، أبو يعقوب بن بكر، (ت: 626هـ-1229م)، *مفتاح العلوم*، دار الكتب العلمية. لبنان-بيروت، ص 81.

(3)- مطلوب، أحمد الناصري، (ت:2018م)، معجم المصطلحات، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، 1996م، ص 479.

(1) - القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، *الإيضاح في علوم البلاغة*، ص 130.

(5) - مطلوب، أحمد الناصري، ص 196.

إلى مثال ثابت فوق الزمان والمكان والبيئة وجعلت لغته مرجعا تستقى منه الأحكام اللسانية العامة ومنها البلاغية ..."[1]

ومن بين أنواع الإنشاء المهمة الاستفهام بصوره المتعددة وأساليبه المتنوعة وهو موضوع الدراسة المنطلقة في تحليل ديوان التطيلي وفق المنهج الوصفي التحليلي والإحصائي باستخراج ما فيه من نكات بلاغية.

أساليب الاستفهام:

الاستفهام هو:" من فهم: الْفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهِمَهُ: عَلِمَهُ; الْأَخِيرَةُ عَنْ سِيبَوَيْهِ. وَفَهِمْتُ الشَّيْءَ: عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ. وَاسْتَفْهَمَهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُفَهِّمَهُ. وَقَدِ اسْتَفْهَمَنِي الشَّيْءَ فَأَفْهَمْتُهُ وَفَهَّمْتُهُ تَفْهِيمًا."[2]

والاستفهام مصدر استفهم أي طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل.

الاستفهام في المصطلح البلاغي: قال عنه ابن وهب: "ومن الاستفهام ما يكون سؤالا عما لا تعلمه فيخص باسم الاستفهام".[3]

والاستفهام والاستخبار بمعنى واحد قال الزركشي:" إن الاستخبار بمعنى الاستفهام."[4]

وعند الإمام عبد القاهر الجرجاني: إن الاستفهام استخبار، قال:" والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك"[5] وفرق ابن فارس في كتابه الصاحبي بين الاستفهام والاستخبار فالاستخبار عنده" طلب خبر ما ليس عند المستخبِر، وهو الاستفهام، وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا : وذلك أن أولى الحالين الاستخبار؛ لأنك تستخبر فتجاب بشيء ربما فهمته وربما لم تفهمه،

---

(1) – أبو العدوس، يوسف، *الأسلوبية الرؤيا والتطبيق*، ط2، دار المسرة للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، 1430هـ–2010م، ص 62.

(2) – ابن منظور، معجم لسان العرب، (مادة فهم).

(3) – مطلوب، أحمد الناصري، معجم المصطلحات البلاغية، ص 109.

(4) – الزركشي، بدر الدين محمد، (ت:794هـ)، البرهان *في علوم القرآن*. ط2. دار المعرفة، لبنان بيروت، 1972م، ج2، ص 326. وانظر: مطلوب، أحمد الناصري، معجم المصطلحات، ص 70

(5) – الجرجاني، عبد القاهر، (ت:471هـ)، *دلائل الإعجاز*، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مصر– القاهرة، 1396هـ–1976م، ص 108. وانظر: مطلوب، أحمد الناصري، معجم المصطلحات، ص 70.

فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم، تقول: أفهمني ما قلته لي قالوا: والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصَف بالخبر ولا يوصَف بالفهم"[1]

والاستفهام البلاغي على قسمين: إما أن يكون للتصديق، ويقصد به إدراك النسبة بين المسند والمسند إليه، وإما أن يكون للتصور، ويقصد به إدراك المفرد، وبهذا المعنى يقول السكاكي:" والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق"[2] وقد سار على هذا المذهب الخطيب القزويني في الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح وبقية شراح التلخيص، ومنهم سعد الدين التفتازاني في شرحه.[3]

تحدث البلاغيون كثيرا عن خروج الاستفهام عن دلالة الطلب إلى دلالات أخرى تفهم من السياقات وهي كثيرة كالتحسر والتوبيخ والأمر...إلخ، وهو ما يعبر عنه بخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لنكات وأغراض بلاغية، وقد تستخدم الأداة المخصوصة في الجملة الاستفهامية وقد تحذف ويتم الاستفهام عن طريق التنغيم من خلال استخدام النغمة الصاعدة ..." فكل المعاني التي تخرج لها الأساليب الاستفهامية ما هي إلا معان منزاحة عن الأصل".[4]

همزة الاستفهام: الهمزة من حيث الدلالة الصوتية، حرف يخرج من أقصى الحلق، وهو الفراغ الواقع بين الحنجرة والفم وأقصاه مما يلي الصدر حيث مخرج الهمزة والهاء[5]. وتخرج من خلال انقفال الوترين الصوتيين تماما ولا يبقى مجال لمرور ذرة من الصوت فيبدأ الصوت بوترين منقفلين ثم يبتعدان.[6]

---

(1) – ابن فارس أحمد بن زكريا، الصاحبي، ص 81. وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت: 911هـ-1505م)، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م، ج2، ص 79.

(2) – السكاكي، أبو يعقوب بن بكر، ص 146. وانظر: مطلوب، أحمد الناصري، ص 109.

(3) – القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، *الإيضاح في علوم البلاغة*، ص 131. وانظر: التفتازاني، سعد الدين، (ت: 1390م- 792هـ)، مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، دار السرور، لبنان- بيروت، ص 246-248.

(4) – أبو العدوس، يوسف، *الأسلوبية الرؤيا والتطبيق*، ص 187.

(5)– أنيس، إبراهيم، (ت:1977م – 1397هـ)، الأصوات اللغوية، ط5، مكتبة الأنجلو، مصر، 1975م، ص 18

(6) –السابق، ص 77

وهي صوت مجهور كما يرى سيبويه.[1] ويرى العلماء المحدثون أن الهمزة تخرج من الحنجرة فهي صوت صامت حنجري[2]، وتعد الهمزة أم الباب في الاستفهام حيث يستفهم بها عن التصور وعن التصديق فإن كان المستفهم عنه مفردا سمي استفهام تصور، وإن كان المستفهم عنه الحكم سمي تصديقا، وإذا كانت الهمزة للتصور فإنه يليها المسؤول عنه، وأن يذكر بعدها المعادل للمستَفهم عنه بعد أم المتصلة (وهي حرف من حروف العطف)، وقد يستغنى عن ذكر المعادل إذا فُهم من السياق، كما أنه يجب أن يكون الجواب عنها بالتعيين ولا يصح أن يكون بنعم أو لا[3]. على أن بعض الأمثلة يجوز حملها أحيانا على التصديق وأحيانا على التصور؛ عندما يكون المعادل محذوفا والذي يحدد ذلك اعتبارات المتكلم وما يقصده من حديثه والغرض الذي سيق الكلام لأجله، فقد يكون القصد إلى التصور (السؤال عن المفرد)، وقد يكون القصد إلى التصديق (السؤال عن الحكم)، ومن الأمثلة المحتملة لكلا الأمرين قوله تعالى: {أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} مريم/46. فالهمزة هنا ممكن أن تكون للتصور فيكون المعادل محذوفا اعتمادا على ذكاء المخاطب.

والمعنى حينئذ أراغب أنت عن آلهتي أم راغب فيها[4] وإذا كان المراد بهذه الآية التصديق، فالجواب ساعتئذ يكون بنعم أو لا، وإذا حملنا المعنى على أنه استفهام إنكاري من أبي إبراهيم–عليه السلام– حسب ما يظهر من السياق العام للآيات، فالمعنى ساعتئذ لا يحتاج إلى جواب." وتعد الهمزة أعرق أدوات الاستفهام، فلا يتقدم عليها حرف العطف بل يأتي بعدها كقوله تعالى: {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} يونس/3"[5]، وقوله تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} الأنعام/122 وقوله تعالى: {أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ} يونس/51، فقد تقدمت الهمزة الاستفهامية على حرف الفاء والواو وثم كما في الآيات." ومن الأحكام التي تختص بها الهمزة أنها لا تقع بعد أم فلا يقال: أم أأنت مسافر".[1]

استعمالات الهمزة: أكثر ما تستعمل الهمزة لإفادة معاني غير معنى الاستفهام الحقيقي ومن ذلك معنى التقرير، واستعمالات الهمزة عندما تخرج عن معنى الاستفهام الحقيقي لإفادة معنى التقرير

---

(1) – سيبويه، عمرو بن عثمان بن قمبر الحارثي، (ت:180هـ-796م)، *الكتاب*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، مصر–القاهرة، 1408هـ- 1988م، ج1، ص 434.

(2) – بشر، كمال محمد، (ت:2015م)، *دراسات في علم اللغة*، دار المعارف. مصر– القاهرة، 1996م، ص 57

(3) – عباس، فضل حسن، (ت:2011م)، *البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)*، ط4، دار الفرقان، إربد- الأردن، 1417هـ-1997م، ص 169-174.

(4) – عباس، فضل حسن، *البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)*، ص 178.

(5) – السابق، ص 175.

بالشيء يعد نوعا من المجاز المرسل وعلاقته الإطلاق والتقييد، فالاستفهام طلب الجواب مع سبق جهل المستفهم فأطلق عن القيد الأخير ثم قيد بقيد آخر هو سبق علم المستفهم"[2] كما أن استعمال الاستفهام بالتقرير بمعنى التحقيق يعد نوعا من المجاز المرسل الذي علاقته اللزوم لأن الاستفهام عن الشيء قد يستلزم تحقيقه[3]

الهمزة عند التطيلي في الديوان:[4]

وعند النظر في ديوان الشاعر نجد أنه استخدم الاستفهام بالهمزة اثنتين وسبعين مرة في مواطن عدة من ذلك قوله: (الطويل)

أغمز عيون وانكسار حواجب أم البرق في جنح من الليل دائب

سرى وسرى طيف الخيال كلاهما يود لو ان الليل ضربة لازب

الناظر في هاتين البيتين يجد أن الشاعر استخدم من حيث التشكيل أسلوب الاستفهام التصوري فقد ذكر الهمزة ثم جاء بعدها المستفهم عنه وثنى بالمعطوف عن المستفهم عنه (وانكسار حواجب) ثم بأم المتصلة وبعدها المعادل للمستفهم عنه (أم البرق)، ولما كان هذا الاستفهام يقتضي الجواب بالتعيين نجده عين المستفهَم عنه من خلال قوله في البيت التالي:

سرى وسرى طيف الخيال كلاهما يود لو أن الليل ضربة لازب

فقبل أن يتم الجواب نجد الشاعر يبدأ في البيت الثاني بتصدير الحديث عن ذكر البرق؛ حيث يفهم أنه قد عين البرق كجواب، والذي يظهر عندي أن هذا الاستفهام- وإن جاء على شكل الاستفهام الذي يراد به التصور- فإن غاية الشاعر في ذكره في مطلع القصيدة هو حسن الاستهلال بالغزل بناه على طريقة الاستفهام ويستبعد أن يراد هنا الاستفهام على حقيقته.

وفي هذه القصيدة التي يمدح بها الشاعر (ابن حمدين) وقد جاءت على طريقة الشعراء العباسيين في حسن الاستهلال كقصيدة البحتري التي مطلعها: (الكامل)

أهلا بذلكم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أم لم يفعل

---

(1) -السابق ص 176.

(2) – الجرجاني، دلائل الإعجاز (الحاشية)، ص 150.

(3) – السابق، ص 150.

(4) – الأرقام التي بجانب الأبيات الشعرية تشير إلى أرقام الصفحات التي ذكرت فيها في ديوان التطيلي المعتمد في الدراسة.

برق سرى في بطن وجرة فاهتدت بسناه أعناق الركاب الضلل[1]

ومن هنا يمكننا القول إن الشاعر لم يقصد إلى الاستفهام بل خرج الكلام إلى إبراز حسن الاستهلال وهي الدلالة السياقية التي أرادها الشاعر.

ومن استخدامه للهمزة قوله: (الطويل)

أمخلفة تلك الوسائل بعدما شددنا قواها بالنجوم الثواقب

في هذا البيت استخدم الشاعر أيضا الاستفهام للتصور، وقد حذف أم المتصلة والمعادل بعدها، والتقدير: أم غير مخلفة، والدلالة السياقية تحتم على الشاعر هنا حذف المعادل حيث أن المراد بالاستفهام هو الاستبعاد والنفي حسب ما يظهر من المعنى العام للقصيدة على معنى: يستحيل أن تخلف تلك الوسائل؛ والدليل على عدم قدرتها على الخلف ربطها وشدها بالنجوم كما جاء في الشطر الثاني (شددنا قواها بالنجوم الثواقب) والمراد بالوسائل هنا مجموعة من القضايا تجعل من الشاعر قريبا من الممدوح كالصبابة والذكرى وتقارب الهوى والخطا للممدوح والغدوات الكثيرة والأيام.

قوله: (الطويل)

أفالآن لما كنت أحكم قاصد وسرك أني جئت أصدق تائب

أضعت حقوقي أو حقوق مودتي فدونكها أعجوبة في الأعاجب

الدلالة الشكلية للاستفهام جاءت على نحو ذكر أداة الاستفهام ثم حرف العطف الفاء وهي كما قلنا من الخصائص التي تتمتع الهمزة بها، ثم جاء المستفهَم عنه وهو الزمن (الآن)، والهمزة كما يظهر من التركيب جاءت للتصديق وليس للتصور والتقدير يظهر من البيت التالي:

أضعت حقوقي أو حقوق مودتي فدونكها أعجوبة في الأعاجب

والمعنى أأضعت حقوقي الآن لما كنت أحكم قاصد، وقد خرج الاستفهام عن حقيقته فلم يطلب المتكلم من المخاطب الإجابة بنعم أو لا، والمراد هنا من الاستفهام حسب الدلالة السياقية التنبيه على خطأ الممدوح والتعجيب من فعله فكأنه يقول: الآن بعد ما سرك مجيئي تضيع حقوقي. أما التعجيب فبدليل قوله: فدونكها أعجوبة في الأعاجب، والمعنى قيامك أيها الممدوح (ابن حمدين) في إضاعة حقوق مودتي جاء في غير أوانه وهذا من العجب أن يصدر من شخص ذي مكانة عالية مثلك. فمثلك يعطى الحقوق ولا يضيعها.

---

[1]- البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى، (ت: 204هـ-280هـ)، *الديوان*، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط2، دار المعارف، قافية اللام، ص 674.

ويحتمل الاستفهام هنا معنى الإنكار وهو مؤذن بأن الوقت الذي علق به الإنكار ليس وقتا ينفع فيه إضاعة الحقوق وذلك قياسا على قوله تعالى في حق فرعون في سورة يونس آية 91 :(آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ).[1] وبما أن الشاعر يخاطب بكلامه ابن حمدين– وهو أعلى منه مقاما– فيحتمل أن يكون الاستفهام هنا على معنى المعاتبة ويؤيد ذلك قوله بعدة أبيات : (الطويل)

أعاتب إدلالا وأعتب طاعة وحسبك بي من معتب ومعاتب

وقد يكون المراد النصح بدليل قوله في آخر القصيدة نفسها: (الطويل)

إليك ابن حمدين نصيحة مشفق تنحلها أثناء تلك النوائب

فعلى جميع الاعتبارات نجد أن الشاعر لا يريد الاستخبار فطرق المعنى على طريقة الاستخبار.

ومن الاستفهام بالهمزة قوله: (الطويل)

بكت هند من ضحك المشيب بمفرق أما علمت أن الشباب خضاب

والاستفهام هنا بمعنى التحقيق بمعنى وقد علمت، وليس المراد حقيقة الاستفهام التصديقي الذي يقتضي الإجابة بنعم أو لا. وكون الشباب خضابا دلالة على زواله وأفوله عن الأنسان وهي معرفة بديهية، وكأنه يقول لهند ابك على نفسك فشبابك مثلي زائل.

وفي قوله: (الطويل)

أأعفو لصرف الدهر عن هفواته على حين لا يأتي علي عقاب

وأتركه يمضي على غلوائه وقد قل إعتاب وطال عتاب

والمعنى هنا النفي أي لا أفعل أو على معنى لا يكون ولا ينبغي، وليس المراد حقيقة التصديق. بدليل تأكيد المعنى في البيت الثاني وعطفه على الاستفهام في البيت الأول (وأتركه...إلخ).

ومن الاستفهام بالهمزة على معنى الإنكار والتوبيخ قوله: (الطويل)

أيغضب حسادي قيامي إلى العلا وقد قعدوا لما ضفرت وخابوا

ونلمح التوبيخ من وصفهم بالقعود المؤدي إلى التأخر والخيبة (وقد قعدوا...إلخ).

ومن الاستفهام بالهمزة قوله: (الطويل)

يا ربع ناجية انهلت بك السحب أما ترى كيف نابت دونك النوب

---

[1]– ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1972م)، *تفسير التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، تونس، تفسير سورة يونس.

الخطاب في هذا البيت للمكان على عادة الشعراء في ذكر الأطلال، والاستفهام أيضا بالهمزة المسند إليه المكان وخطاب المكان يعد من خطاب غير العاقل، والمراد هنا من الاستفهام التقرير، فالمعنى تقريري ومفهوم التقرير عند البلاغيين: (أن تقرر المخاطب بشيء ثبت عنده لكنك تخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام، ذلك لأنه أوقع في النفس وأدل على الإلزام"[1] على أن المخاطب هنا الربع على عادة الشعراء في استهلال قصائدهم، وبالتالي فإن السياق بشكل عام تخييلي، وطلب إقرار المخاطب بما يريد المتكلم هو إنشاء لفظا ومعنى ويحتاج من المخاطب الجواب، ويحتمل أن يكون المراد النوع الثاني من التقرير الذي يأتي بمعنى التحقيق والتثبيت والمعنى قد رأيت كيف نابت دونك النوب على غرار قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} الفيل/1 ويرى النحاة: أن الدلالة النحوية لاستخدام أما ترى أو(أما رأيت أو أرأيتكم ...إلخ)، تأتي بمعنى أخبرني قال أبو حيان في البحر المحيط:" أرأيتك بمعنى أخبرني نص عليه سيبويه والأخفش والفراء ..."[2] وعلى هذا المعنى يكون الاستفهام بالهمزة في البيت قد خرج إلى معنى الأمر أي: أخبرني كيف نابت بك النوب. على أن هذا النوع من الاستفهام التقريري هو إنشاء من حيث اللفظ خبر من حيث المعنى. والمعنى بشكله البسيط قد أثرت النوب بربع ناجية.

ومنه قوله: (الطويل)

أبعد حول تقضى للنوى كثب ولا الذي بيننا نبع ولا غرب

والاستفهام هنا للتصديق إلا أن المعنى الذي خرج إليه الاستفهام هو الإشارة إلى الاستبطاء وطول المدة، ويحتمل أن يكون الاستفهام هنا إنكاري توبيخي على أمر قد مضى، وكأن الشاعر يقصد ما كان ينبغي التأخير.

ومثله قوله: (الطويل)

أما رأيت ندى حواء كيف دنا بالغيث إذ كاد يأتي دونه العطب

حيث يمدح الحرة حواء أخت محمد وأبي بكر ويحيى من ملوك عصر المرابطين بقوله: (الطويل)

يا أخت خير ملوك الأرض قاطبة وإن أعدوا وإن أسموا وإن نسبوا

محمد وأبو بكر وخيرهم يحيى وحسبك عزا كلما حسبوا

---

[1] – عباس، فضل حسن، *البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني*، ص 190.

[2] – أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، (ت:1023هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان– بيروت،1431هـ–2010م، تفسير سورة الأنعام آية 40.

والدلالة السياقية واضحة في أن المراد من هذا الاستفهام هو إظهار كرم الممدوحة حواء، وقد بينا سابقا المراد باستخدام الاستفهام مع رأى والتي هي بمعنى أخبرني.

وفي قوله:(الطويل)

ألم يرب الردى تضييع سر تبلد فيه أوهام الغيوب

الاستفهام هنا تصديقي يراد به التقرير على معنى التحقيق والتثبيت بمعنى قد راب الردى تضييع سر، والمراد بالسر (موت تلك المرأة المرثية، ونشتم من الاستفهام أيضا اعتراض الشاعر على موت المرأة ووقوع أجلها وهي شابة.

وفي قوله: (الطويل)

أتجزع للزمان وأنت منه مكان الحزم من صدر اللبيب

نجد أن الاستفهام تصديقي، إلا أن المعنى خرج إلى الإنكار؛ فالشاعر ينكر على المخاطب الجزع للزمان، ويستهجن ما يمكن أن يحدث في الحاضر أو المستقبل، ولما كان المخاطب (أبا عبد الله) ممدوح الشاعر، فإن المعنى ساعتئذ يخرج إلى معنى النصح والإرشاد، لأنه من أدنى إلى أعلى بدليل قوله في نهاية القصيدة: (الطويل)

وأنت نصيبنا من كل شيء فدمت وحسبنا أوفى نصيب

والمعنى ساعتئذ مثلك لا يجزع للزمان ولا ينبغي له أن يفعل ذلك.

وقوله: (البسيط)

أما ويوم عبيد الله وهو أسى لقد تخير هذا الموت وانتقدا

فالاستفهام هنا بالهمزة لا يقصد به إلا التنبيه لخبر موت عبيد الله واختيار الموت له، وكلها تدور حول موت عبيد الله لما بعده من المعاني في القصيدة.

وفي قوله: (البسيط)

يا غاديا لم يكن شيء يقوم له أما توقاك صرف الدهر حين عدا

السياق العام لهذا البيت يشير إلى نعيه (لأبي الحسين) بدليل قوله في الأبيات التي تليه: (البسيط)

تبكي عليك ولا عار ولا حرج هداية كنت من أعلامها وهدى

فالاستفهام هنا إنكاري توبيخي اعتراضي، ينكر الشاعر على الدهر يعترض في عدم ترك المرثي حيا فهو نوع من الاعتراض على القدر.

وقوله: (الطويل)

سل الروم في إقليش يوم تجايشوا ألم يعلموا أن الفرائس للأسد

تباروا إلى تلك الحتوف فسلهم أما كان عنها من محيص ولا بد
ألم يك في الإسلام من متعرض بكف ولا في السلم من عرض يفدي
ألم تزعموا أن الصليب وأنه كأنكم لم تسمعوا بالقنا الملد

الاستفهام في الأبيات الأربعة تفيد التقرير والإثبات حيث تقرير المخاطب بشيء قد ثبت عنده فتخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام لكونه أوقع في النفس وأدل على الإلزام وإثباتا للحجة على المخاطب، والمعنى إثبات الفرائس للأسد، وإثبات المحيص عن الحتوف، وإثبات أن في الإسلام متعرَّض، وإثبات زعمهم أن الصليب...، كما أن السياق يشير إلى افتخار الشاعر بممدوحه في انتصاره على أعدائه من النصارى في معركة (إقليش) كما يفهم منه الإنكار والتوبيخ على الأعداء من (الإسبان).

وفي قوله: (البسيط)

أمنك الخيال الطارقي كل ليلة على مثل حد السيف أو طرة البرد

والاستفهام هنا يحتمل التصديق أو التصور فالتصور على تقدير معادل (أم من غيرك)، والاستفهام هنا تقريري وهو إنشاء من حيث اللفظ خبر من حيث المعنى والمراد منه تثبيت الخبر وتحقيقه، والمعنى السياقي لا يحتاج إلى جواب من المخاطب، لأن المراد تحقيق الخبر فقط في زيارة طيف المحبوبة له ليلا على معنى منك الخيال الطارقي كل ليلة. وفيه إشارة إلى كثرة ورود صورة المخاطب على ذهن الشاعر لأهميته.

وفي قوله: (البسيط)

أآذنة علياك للعيد إن دنا على الطائر الميمون والطالع السعد

والمراد بالاستفهام هنا التصديق، وقد جاء لبيان مقام الممدوح وتعظيمه فكأنه يقول لا يسمح للعيد بالظهور إلا بعد إذنك، فهلا أذنت له، فالاستفهام تحضيضي. ولما كانت مثل هذه الأمور تتعلق بالزمن إلا أن الشاعر جعل الأذن فيها مسندا للممدوح لرفع قدره ومكانته.

وفي قوله: (البسيط)

أما اشتفت مني الأيام في وطني حتى تضايق فيما عن من وطر

والمراد بالاستفهام هنا التقرير بمعنى قد اشتفت وتحمل أيضا معنى الإنكار والتوبيخ والانزعاج من الأيام لما فعلته به وكأنه يطلب منها الاكتفاء.

وفي قوله: (البسيط)

أما ترى العرمس الوجناء كيف شكت طول السفار فلم تعجز ولم تخر

المعنى السياقي للبيت يرتبط بالذي قبله ارتباطا ملحميا وهو قوله معبرا عن حقيقة الإنسان وفنائه بسبب الكبر: (البسيط)

وليس للمرء بعد الشيب مقتبل نهاية الروض أن يعتم بالزهر

فأراد إثبات هذه الحقيقة من خلال صورة حسية وهي صورة الناقة الشديدة القوية التي تخار ضعفا مع طول الأيام، فقال: أما ترى العرمس الوجناء...، فيتضح من استخدام الاستفهام المنفي في السياق أن المراد العبرة والاعتبار، وهو يشابه إلى حد كبير قوله تعالى: {انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} الأنعام/99.

وفي قوله: (الطويل)

أتحسبني أسطيع جودك كله لك الله دعني من لساني وناظري

الاستفهام هنا للتصديق والنفي ويفيد معنى الاستحالة والاستبعاد؛ فعطايا الممدوح لا تحصى؛ فالمخاطب هو ممدوح الشاعر والمراد بيان سعة جود وعطاء الممدوح بحيث لا يستطيع الشاعر استقصاءه والاطلاع عليه كله، فالمعنى لا تحسبني أستطيع إحصاء خطاياك وهذا أو غل في باب الفخر بالمخاطب من الخبر المباشر ويؤكد هذا المعنى في الأبيات التالية: (الطويل)

وفي قوله: (الطويل)

ملأت يدي من كل مجد وسؤدد وأبقيت ذكري آية للذواكر

أتعلم ما أوليتها اليوم حمير فتشكره إن الكريم شكور

الاستفهام هنا يراد به التصديق والمعنى التعريض بقبيلة حمير لكي تقوم بشكر الممدوح على ما قدمه لها لرفع مكانتها، فكأنه يقول أيتها القبيلة عليك بالشكر لهذا القائد العظيم أبي العلاء بن زهر لما قد تم على يده من أجلك. على ذلك سياق الأبيات التي تلي هذا البيت ومنها: (الطويل)

نهضت بعبئي جدها واجتهادها تسر ليالي ملكها وتسور

أما قوله: (الطويل)

أعِنْدَكَ أني ضِعْتُ بعدك ضَيْعَةً تَعَلَّمَ منها الدهرُ كيفَ يَجورُ

فالاستفهام هنا يفيد الإنكار والنفي والاستبعاد، والمعنى: لا أضيع عندك أبدا، وفيه إشارة إلى الفخر بالممدوح (ابن زهر) كما يظهر من الأبيات التالية بقوله: (الطويل)

سأولي أبا مروان شكري كله وإني بشكر الأكرمين جدير

وفي قوله: (البسيط)

أما ترى اليوم كيف اسوَدَّ سَائِرُهُ وَهَبْهُ ليلاً أما يُفْضي إلى سَحَر

وأيْنَ أنْجُمُه أم غالَ أنْفُسَها هذا الردى المُتَقَفّي أنْفُسَ البشر

السياق العام في هذه القصيدة يشير إلى حزن الشاعر على وفاة والدته، فالاستفهام للتنبيه والإخبار؛ فاليوم أسود وليله طويل لا يفضي إلى نهار ونجومه غائرة كل ذلك بسبب الردى والموت الذي حل بوالدته، وكل هذه المعاني ظهرت في سياق استخدام (أما ترى، وأما، وأين).

وقوله: (الطويل)

أتمضِي الليالي لا أراكِ وربّما عَدَتْنِي العَوَادي عنْ طِلابِكِ في الحَشْر

الاستفهام هنا يراد منه التصديق ينكر الشاعر على الليالي التي تحول بينه وبين رؤية زوجته المتوفاة من جهة ويثبت تعلق المسند بالمسند إليه (مضي الليالي)، والمعنى السياقي يشير إلى استسلام وإخبار الشاعر في عدم القدرة على رؤية زوجته مرة أخرى.

وقوله: (البسيط)

يزهي به الرمح من عجب ومن عجب أما درى أنه ذو ملة طرف

والاستفهام هنا وقع بمعنى التقرير وهو يصف فيه السيف ومكانته، فهو يخبر عنه أنه شديد الملل يحتاج إلى القتال دائما وهذا يعني رفع مكانة صاحبه حيث يتم الانتقال بطريق الكناية عن نسبة حيث يتم الانتقال من تمجيد السيف إلى تمجيد صاحبه، وإنه أهل للقتال في كل وقت.

وفي قوله: (البسيط)

أَخِلْتَ حُسنَكَ شيئاً لا انتقاصَ له لا تكذبنَّ فإن الشمسَ تَنْكَسِف

والاستفهام هنا الشاعر فيه يخاطب نفسه فجاء بالاستفهام إنكاريا تكذيبيا في صورة التشبيه الضمني؛ حيث جعل المشبه به دليلا على حال المشبه؛ فالحسن شيء لا يدوم وينتقص مع مرور الأيام والدليل على ذلك الشمس الكاملة فإنها تنكسف. وفي هذا البيت نجد أن الاستفهام الإنكاري يتميز عن النفي الصريح في أن المتكلم عندما يلقي كلامه في صيغة الاستفهام فإن ذلك يدل على الثقة التي تملأ نفسه لأنه يلقي كلامه وهو يدرك أنه لو كان في كلامه أدنى ريب لرده المخاطب عليه[1].

وفي قوله: (الوافر)

ألم يك حبه كهفا منيعا ألم يك قربه ظلا ظليلا

---

[1] – عباس، فضل حسن، *البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)*، ص 199.

إلى قوله:

ألم يحرز نهاية كل مجد يقول الفصل أو يعطي الجزيلا

وهذه الاستفهامات كلها تفيد التقرير على غرار قوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح/1)، والمعنى حبك كهف منيع، وقربك ظل ظليل، وأنت لليتامى والأيامى ولي حاني وأب وصول، وأنت بدر دائم فلا سرار لك ولا أفول، وقد أحرزت نهاية كل مجد في عطائك المتكرر وجميعها أخبار جاءت على شكل الاستفهام التقريري لتفضي إلى النص جمالا أسلوبيا بحيث تمنع القدرة على التكذيب من قبل المخاطب.

في قوله: (الطويل)

وكنت أظن الراحه من قبل ما ادعت ستأنف من أن تلتقي هي والنحل

أتلك سقت أزهارها أم غمامة إذا نفحت أيقنت أن سوف تنهل

ورد الاستفهام هنا على معنى التصور؛ حيث أورد المستفهَم عنه بعد الهمزة وهو اسم الإشارة الدال على البعيد والمقصود به العسل المتمثل بالنحل، ثم جاء بالمعادل له بعد أم المتصلة وهو الغمامة والمطر، فهو يخير بين أن يكون الساقي لشجرة الراح النحل أو المطر، والدلالة السياقية تبين أن أيا من الساقيين فيه الرواء والكفاية من العسل والخمر لا على قصد التخيير في أحدهما، وإقبال الشاعر هنا على الخمر بعد وصفها بما سبق مع حرمتها؛ لأنها أشبهت ريح الحبيب. والاستفهام هنا للتنبيه والإخبار.

قوله: (الطويل)

أأُحْسَدُ والدنيا تَضنّ بِدرّها عليّ وكانتْ كلُّ أخلاقها نُغْل

خرج الاستفهام التصديقي هنا إلى معنى الإنكار والتوبيخ لحساده على طريقة استخدام الفعل الذي لم يسمى فاعله ليشمل كل من يقع منه الحسد.

وقوله: (البسيط)

أعيا عليه أنهي في قرارته أم مارج من لظى ترمي به شعل

الأبيات السابقة تتحدث عن وصف السيف والتي يبدؤها بـ:

وإن سيفك لا يثني جهالته حتى يبين للجهال ما جهلوا

إلى أن يصل إلى قوله: أعيا عليه...، فقد ذكر المستفهَم عنه على طريقة التصور، وهو الغدير أو مجتمع الماء، وجاء بالمعادل (مارج من لظى) بعد أم المتصلة على سبيل التعجيب من حال شفرة السيف؛ حيث ينتقل من التعجيب من حالة شفرة السيف إلى حاملها على سبيل الكناية عن نسبة.

وقوله: (البسيط)

أَذاكَ أم عَزْمَةٌ رُمْت الصليبَ بها وقد أتت دونَهُ الغيطانُ والقُلَلُ

المشار إليه بعد الهمزة يعود إلى الأبيات السابقة حيث يصف الشاعر رمح الممدوح بقوله: (البسيط)

وإن رمحك لا يثني معاطفه إلا انثنى القرن لا يألوا ولا يئل

إلى آخر الأبيات وقد وقع الاستفهام هنا للتنبيه على معنى التصور لإثبات مواصفات الرمح وعزمات وقوة الممدوح لإفادة عظمة حامل هذا الرمح وهو الممدوح.

وفي قوله: (البسيط)

أتاركي لصروفِ الدهرِ تلعبُ بي وقد حَدَاني إليكَ الحبُّ والأمل

والاستفهام هنا خرج إلى معنى النهي.

وفي قوله: (الطويل)

أذاهبةٌ بين القطيعة والوصْلِ بِعَقْلي أما يرضيكِ شيءٌ سِوى عَقْلي

هنا الاستفهام التصوري مرتين مرة في صدر البيت (أذاهبة) حيث أورد اسم الفاعل بعد الهمزة، ومرة في العجز (أما يرضيك) وفي كلا الحالتين نجد السياق العام لهذا الاستفهام يفيد التقرير في الأول، فالشاعر عالم بهذه الحالة (حصول ذهاب عقله منها) لكنه يريد من المخاطب (محبوبته) أن يوافقه على ذلك لغرض: هو بيان مقدار تأثيرها عليه، وللتنويه بشأن محبوبته وحسن جمالها وكماله، ويمكننا القول أيضا أن الشاعر هنا يقرر محبوبته بالفعل (أذاهبة) من غير أن يرددها بين فعلين، وكلامه هنا كلام من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان منها. وفي الاستفهام الثاني يقرر الشاعر ذهاب عقله بسبب محبوبته ثم يطلب ويعرض عليها أن تدع العقل وتختار شيئا غيره، والدلالة السياقية تشير إلى مكانة محبوبته منه ومقدار تأثيرها العظيم عليه.

وفي قوله: (الطويل)

أريتَك من تحنو عليه وإنه لكالغيث أو أني لكالبلد المحل

والمعنى أرأيتك وقد خرج الاستفهام إلى معنى الإخبار بمعنى أنت من تحنو كأنك الغيث وأنا من يحني عليه كالبلد المحل، والدلالة السياقية رفع شأن الممدوح وأنه كالغيث على طريقة استخدام صورة التشبيه.

وفي قوله: (الطويل)

أحين دعاني وادعاني ولم أجد سوى حكمه طورا علي وطورا لي

قبلت الأذى منه كأني قابض على الماء أو ساع على أثر الظل

الاستفهام هنا إنكاري حيث ينكر الشاعر على نفسه قبول الأذى ممن يحب، ويستبعد أن تكون أحداثه في هذا الوقت، والدلالة السياقية تفيد إنكار الشاعر على ممدوحة الإيذاء وجعله كالقابض على الماء، أي بدون عطاء.

وقوله: (الطويل)

ويبخلُ أقوامٌ بما يَتْرِكُونَهُ أمَا علموا أنَّ الليالِيَ أبْخَل

الاستفهام تقريري بمعنى قد علموا، وفيه أيضا معنى التنبيه على الأحوال التي يعيشها الإنسان وعلاقته بالمال، والحث على الكرم ويؤيد هذا المعنى سياق البيت الذي قبله حيث يقول: (الطويل)

وما المال إلا ما تعجلت نفعه بحيث يراك المرصد المتأجل

وفي قوله: (الطويل)

ألمْ يأنِ لي أن أخْلَعَ الغيَّ جانباً أوَلّي به فيما هُناكَ وَاعْزِل

أفاد الاستفهام معنى التقرير بمعنى قد آن لي وحان الوقت، كما يحمل معنى معاتبة المرء لنفسه وحثها وتحريضها على الانضباط في التعامل ولعله استلهمه من قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} الحديد/16. كما يمكننا حمل الاستفهام على معنى الاستبطاء أي أن الشاعر استبطأ توبته وانصرافه عن السوء، وورد في القرطبي قوله:" ولما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم: إن الله يستبطئكم بالخشوع...، "[1]

وفي قوله:(المتقارب)

أما بيننا حَكَمٌ عادل ولو أنّه زمني مَا عَدل

فالاستفهام هنا تقريري، والمراد منه طلب إقرار المخاطب بما يريد المتكلم، وهذا الاستفهام إنشاء لفظا ومعنى، والمعنى: أليس بيننا حكم عادل؟ والجواب: بلى، فالشاعر يحاول انتزاع الإقرار والاعتراف من المخاطب بهذا الأسلوب.، والمخاطب هنا محبوبة الشاعر بدليل قوله في مطلع القصيدة:

أما والهوى وهو إحدى الملل لقد طال قدك حتى اعتدل

والدلالة السياقية المفهومة من الكلام أن الشاعر يطلب من محبوبته الإنصاف وعدم التجني ويستبعد أن يقع ذلك. بدليل الاستفهام في البيت الذي يليه:

أينصف منك وأنت الحياة ويعدي عليك وأنت الأجل

---

(1) – القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (1427هـ-2006م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة الحديد)، ج 20، ط1، مؤسسة الرسالة، تحقيق: عبد الله التركي، ص 252

فهو إنكاري تكذيبي فلا أحد يستطيع الانتصاف من الممدوح لقوته ومكانته فقد وصف الممدوح بأنه الحياة والموت.

وفي قوله: (المتقارب)

تجلى له بين حاليهما فسله أبحر رأى أم جبل

السياق يدل على أن المراد بيان مكانة الممدوح وعظمه وتهويل قدره؛ فهو بحر وهو جبل بدليل البيت السابق بقوله:

سل البحر عن جوده إذ طما وشطيه عن بأسه إذ أطل

وقد تم إيراد الاستفهام على طريقة الاستعارة التصريحية؛ حيث شبه الممدوح بالبحر ثم شبهه بالجبل وهو أدعى إلى تعظيم الممدوح وبيان كرمه وقوته. فالاستفهام هنا تقريري.

الاستفهام في قوله: (الطويل)

أكلَّما طلعتْ نفسي إلى أملٍ لم يَعْدُها عائقٌ عن ذلك الأمل

خرج إلى معنى التعجيب من حال الشاعر وعدم مطاوعة أحوال الأيام له في آماله.

وفي قوله: (الطويل)

أينقضي الدهر لم تظفر يدي بأخ إذا سمعت بسوء عنه لم أخل

معنى الاستفهام الإنكار والتكذيب فالدهر لن ينقضي بدون أن يظفر الشاعر بأخ لا يقول السوء.

وفي قوله: (الطويل)

أما يَشْتَفِي مني الزمانُ يَرُوعُني وتُقْعِدني أَرْزَاؤُهُ وَتُقيمُ

خرج الاستفهام هنا إلى معنى الإنكار على الزمان توبيخه والطلب منه أن يكتفي بما أحدثه بحال الشاعر، والأبيات التالية تفصل هذه الإحداثيات منها:

تنكر أحباب وبانت حبائب ولجت أعاد بيننا وخصوم

فسياق الأبيات التي جاءت على شكل تفصيل بعد إجمال تظهر أسباب استنكار الشاعر بحال الزمان معه. ومن المعلوم أن مخاطبة غير العاقل هنا تحمل في طياتها معنى التمني في أن تزوال هذه الأمور عن الشاعر.

وفي قوله: (الطويل)

أيُنكِرَ أهْلُ العلم أنّكَ رَوْضَةٌ يُسِيمونَ فيها والبلادُ هشيم

خرج معنى الاستفهام إلى الإنكار والتكذيب حيث ولي همزة الاستفهام الفعل المضارع (ينكر) المفيد للحال أو الاستقبال، فلا أحد يستطيع هذه الحالة التي يعيشها الممدوح.

كما يمكن حمل المعنى على التنبيه على الباطل بالإضافة إلى الافتخار بمكانة الممدوح. ويمكن حمل الاستفهام على أنه إنكاري توبيخي؛ حيث ينكر على أهل العلم عدم إثبات مواصفات الممدوح الموجودة في البيتين فكأنه يقول: ما ينبغي لهم أن ينكروا ذلك.

وقوله: (الطويل)

أَنمْضـي الليـالي لا تُقضّـي مآربي ولو شفّـني همّـي بـها وَتَهمُّمـي

خرج الاستفهام إلى معنى العتاب والتذلل. واستخدام الاستفهام هنا مدعاة للمضي في تلبية طلبات الشاعر من قبل المخاطب الممدوح، وأيضا يحمل معنى الاستبطاء؛ حيث استخدم الفعل المضارع بعد همزة الاستفهام لإفادة التجدد والحدوث في جريان الليالي دون تقضية المآرب.

وفي قوله: (الطويل)

أأكسِرُ قوْسِي بعدَ عِلمي بأَنَني رميتُ فما أخْطَيْتُ شاكلةَ الرَّمي

هنا يخاطب الشاعر ممدوحه أبا القاسم ويقول: أنه لا يأس ولا استسلام بعد أن وصل إلى هدفه وهو الوصول إلى الممدوح والتنعم في خيراته، وعبر عن هذا المعنى باستخدام الاستفهام الإنكاري بقوله السابق: أأكسر قوسي؟، فكسر القوس بالعربية يعد كناية عن اليأس والاستسلام، وهنا ينكر أن يقع منه اليأس والاستسلام بعد أن وصل الممدوح وأصاب الرمي.

وقوله: (الرجز)

أخَرَسٌ بِدِمْنَتَيْكَ أم صَمَم

خرج الاستفهام إلى معنى التنبيه لما أصاب الحي والأطلال بدليل قوله قبل ذلك:

يا طلل الحي أراه قد طسم

وذلك باستخدام الاستفهام التصوري على سبيل الإخبار بمعنى أن دمن الحي قد أصبحت خرساء صماء.

وفي قوله: (المتقارب)

وسائله ما فعل القارظان أضل دليلهما أم توانى

ألمْ يَجِدَا قَرَظاً منهما يُريغانِهِ حيثُ مَنْ حَانَ حانا

استخدم الشاعر الاستفهام بالهمزة قاصدا الإشارة إلى البعد التاريخي في المثل العربي المشهور (حتى يؤوب القارظان)، وقد استخدم الاستفهام على معنى التصور في البيت الأول، وعلى معنى النفي في البيت الثاني.

وفي قوله: (المتقارب)

وأينَ أضلَّ قبيساً أبوه على أنه ما ألاه حنانا

أغادره والها بعده وأشمت رضوى به أو أبانا

نجد الشاعر قد استخدم الاستفهام بالهمزة على معنى التصديق وقصد بذلك الإشارة إلى المعطيات التاريخية. وكلها على معنى الإخبار.

وفي قول الشاعر: (المتقارب)

عجبت لجانبه ما أشدَّ أأمرٌ عَنى أم أميرٌ أعانا

خرج الاستفهام هنا إلى معنى تعظيم الممدوح على طريقة الاستفهام التصوري، وقد أورد الاستفهام بالبيت على طريقة التصور مستخدما الصورة البديعية في الجناس الناقص بين (أمر وأمير) وبين (عنى وأعانا).

وفي قوله: (الوافر)

سوابح من غمار في حديد فما تدري أخيل أم سفين

والاستفهام بالهمزة هنا للتصور وجاء لتعظيم شأن خيل جيش الممدوح علي بن يوسف بن تاشفين، فلا يدري الناظر إليها هل هي خيل أم سفن، وليس المراد الاستفهام على حقيقته فيختار المخاطب تعيين أحد الطرفين بل السياق يوحي بإرادة معنى التهويل والتضخيم لأمر الخيل.

وفي قوله: (الوافر)

وأحدقت الرماح به فأعيا علي أهالة هي أم عرين

الاستفهام في هذا البيت للتصور والسياق يدل على أن المراد منه هنا التهويل والتخويف والتعظيم للممدوح ابن تاشفين، فبالرغم من إحاطة الرماح به كأنها هالة أو عرين فهو متيقن من الانتصار.

الاستفهام في قوله: (البسيط)

أريقُ ثَغْرِكِ أمْ ينتُ الزَّراجين وَعَرْفُ نَشْرِكِ أم مِسْكٌ بدارينِ

إلى قوله:

وَقدُّك الناعمُ الريَّانُ أمْ غُصُنٌ يميسُ ليناً على كثبانِ يَبْرين

في مطلع هذه القصيدة الغزلية التي يمدح فيها الشاعر الوزير أبا القاسم، وذلك بقوله في القصيدة:

إيه أبا قاسم مالي ظمئت وفي كفيك ري أن لو شئت ترويني

نجد الإكثار من استخدام الاستفهام بالهمزة على طريقة التصور من البيت الأول إلى البيت السادس، وفي جميع هذه الاستخدامات نجد أن الدلالة السياقية للاستفهامات خرجت إلى معنى واحد هو بيان جمال الموصوفة والإخبار عنه من جهات حسية عدة على طريقة ذكر المستفهم عنه بعد أداة الاستفهام والإتيان بالمعادل له بعد أم المتصلة، وواضح من أن الشاعر استخدم للوصول إلى هذه المعاني التشبيهات والاستعارات، فريق المحبوبة يشبه الخمر ورائحتها كالمسك وقدها الناعم كالغصن...إلخ، وهو يسير بذلك على طريقة الشعراء في مطلع القصائد من ذكر الغزل.

وفي قوله: (البسيط)

وصاحب لم أزل منه على خطر كأنني علم غيب وهو حسان

أغراه حظ توخاه وأخطأني أما درى أن بعض الرزق حرمان

خرج الاستفهام هنا إلى معنى التهكم والتحقير وإثبات جهالة الصاحب والتنبيه على خطئه.

وفي قوله: (البسيط)

يا لابسا عزة المولى أنافعتي لديكم طاعة مني وعصيان

هذا البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر الأمير أبا يحيى حيث يقول منها: (البسيط)

فتى قلما تلقاه إلا مرحبا تلوذ بحقويه كهول وشبان

والاستفهام في البيت اشتمل على همزة الاستفهام ثم اسم الفاعل نافعتي والمراد به التصديق إلا أنه خرج إلى معنى النفي بمعنى لا تنفعني طاعة ولا عصيان، والدلالة السياقية تفيد أن الشاعر يهون من قيمته أمام الممدوح فلا يهم الممدوح إن كان الشاعر عاصيا أو طائعا.

وفي قوله: (البسيط)

أعندك الخصر السلسال مورده ولا يفوز بري منه ظمآن

خرج الاستفهام إلى معنى التقرير والإثبات لما يتمتع به الممدوح من كثرة الخيرات كأنها الخصر السلسال، فعطاؤه الكثير لا ينقص مما عنده، والسياق يؤول إلى إظهار مكانة الممدوح وعطائه.

وقوله: (البسيط)

سواد قلبي لو تدري مواقعه أمنه صور في خديك خيلان

استخدم الشاعر هنا الاستفهام المحتمل للتصور أو التصديق وقد خرج إلى معنى التقرير ليفيد إثبات جمال صورة الممدوح، حيث الشامات الجميلة على خديه.

وفي قوله: (الطويل)

وعن هرمي مصر أمتعا بشرخ شباب أم هما هرمان

هذا البيت يرتبط مع مقدمة القصيدة التي يرثي بها الشاعر (محمد ابن الياقي) فيقول: (الطويل)

خذا حدثاني عن فل وفلان لعلي أرى باق على الحدثان

وقد استخدم الشاعر الاستفهام التصوري ليصل بالسياق إلى معنى أخذ العبرة على زوال الدنيا ومن فيها فالمراد من الاستفهام إذن الاعتبار.

وقوله: (الطويل)

وطال ثواء الفرقدين بغبطة أما علما أن سوف يفترقان

خرج الاستفهام إلى معنى التقرير؛ لإفادة الاعتبار كما هو السياق العام للقصيدة.

وفي قوله: (الوافر)

أجِدَّكُمُ بكتْ هضباتُ رضوى فكادَ الحزن فيها يستبين

أفاد الاستفهام معنى التقرير والافتخار، والمعنى لقد بكت هضبات رضوى، وإسناد البكاء للهضبات إسناد غير حقيقي والمراد تقوية السياق في أن البكاء شمل حتى الهضاب ناهيك عن الناس.

وفي قوله: (البسيط)

أما كفى حزناً أن قد ظميت وقد عاينت عذب الحيا يجري على البرد

الاستفهام خرج إلى معنى التقرير والإثبات فكأن الشاعر يقول كفاني حزنا أن قد ظميت إلى لقائك حيث السياق يشير إلى حديثه عن فتاة كان يهواها.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

- يتضح مما سبق أن مباحث الاستفهام باعتبارها من مباحث الإنشاء الطلبي ذات آثار ملحوظة تثري أساليب الشعراء والكتاب، وتؤثر في نفسياتهم وقلوبهم، وهي من هذا الوجه حرية بكل اهتمام وعناية؛ لكثرة ما فيها من أغراض جديرة بأن يلحظها البليغ، خاصة الاستفهام بالهمزة.
- إن تعدد الاستخدامات للهمزة عند التطيلي وتنوعها الممتد، يجعل من طرق استخدامها نبراسا للأدباء للاقتداء بطريقته وعلى مثاله.
- نجد أن الشاعر استخدم حرف الاستفهام الهمزة بكثرة، وقد دخلت على الفعل والاسم والنفي لدلالات وأغراض بلاغية.
- إن اختيارات الشاعر لأساليب الاستفهام بالهمزة في أشعاره يعد جزءا مهما من بنية الدلالة، وهو اختيار يدل على الإبداع والدقة من خلال تجارب الشاعر الخاصة، وهذا الاختيار عندئذ يشكل مسحة أسلوبية بارزة في النص الإبداعي، ويرتبط ارتباطا مباشرا في الدلالات السياقية والمعاني المركزية للقصيدة.

- إن لغة القصائد في شعر التطيلي خاصة ما يتعلق في الاستفهام بالهمزة تمتد في قاموسيتها المعجمية والتراكيب الدلالية إلى مراحل حيوية من مراحل الشعر العربي القديم، فهي تمثل الثقافة اللغوية والاجتماعية في عصر دولة المرابطين.
- كشفت الدراسة الإحصائية لشعر التطيلي أنه قد استخدم الاستفهام بالهمزة اثنتين وسبعين مرة، فقد استخدمها على معنى التصور اثنتي عشرة مرة، وعلى معنى التصديق ستين مرة.
- استطاع التطيلي أن يوظف في أشعاره الكثير من أساليب الاستفهام بالهمزة، وتبين أن هناك أغراض جمة خرج إليها الاستفهام، كالتقرير والتحقيق والنفي والإنكار بأنواعه، ...إلخ، وقد ظهر ذلك من خلال تحليل الأبيات وربطها بالدلالات السياقية.

- أن يحظى شعر التطيلي بمزيد من الدراسات اللغوية والأدبية لما يتمتع به من خصائص متنوعة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- *الأصوات اللغوية*، أنيس، إبراهيم، (ت:1977م-1397هـ)، ط5، مكتبة الأنجلو، مصر، 1975م.
- *الديوان*، البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى، (ت: 204هـ-280هـ)، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط2، دار المعارف.
- *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، ابن بسام، أبو الحسن علي، (ت:542هـ -1147م)، تحقيق: إحسان عباس،1417هـ -1997م، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ج1.
- *دراسات في علم اللغة*، بشر، كمال محمد، (ت:2015م)، دار المعارف. مصر- القاهرة، 1996م.
- *الديوان*، التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله، (ت:513هـ-535هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان- بيروت،1409هـ- 1989م.
- *مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني*، التفتازاني، سعد الدين، (ت: 1390م- 792هـ)، دار السرور، لبنان- بيروت.
- *دلائل الإعجاز*، الجرجاني، عبد القاهر، (ت:471هـ)، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مصر-القاهرة، 1396هـ-1976م.
- *البحر المحيط في التفسير*، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، (ت:1023هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان- بيروت،1431هـ-2010م.

- *البرهان في علوم القرآن*، الزركشي، بدر الدين محمد، (ت:794هـ)، ط2، دار المعرفة، لبنان- بيروت، 1972م، ج2.
- *مفتاح العلوم*، السكاكي، أبو يعقوب بن بكر، (ت: 626هـ-1229م)، ط1، دار الكتب العلمية. لبنان -بيروت، 1983م.
- *الكتاب*، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قمبر الحارثي، (ت:180هـ-796م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط3، مكتبة الخانجي، مصر-القاهرة، 1408هـ- 1988م، ج1.
- *الإتقان في علوم القرآن*، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت: 911هـ- 1505م)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م.
- *تفسير التحرير والتنوير*، ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1973م)، الدار التونسية للنشر. تونس.
- *أساليب البيان*، عباس، فضل حسن، (ت:2011م): ط2، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2007م. *والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)*، ط4، دار الفرقان، إربد-الأردن،1417هـ-1997م.
- *الأسلوبية الرؤيا والتطبيق*، أبو العدوس، يوسف، ط2، دار المسرة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 1430هـ-2010م.
- *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، ابن فارس، أحمد بن زكريا، (ت:395هـ)، تحقيق: أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، 1418هـ-1907م.
- *الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة الحديد)*، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت:671هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1427هـ-2006م، ج 20.
- *الإيضاح في علوم البلاغة*، القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت:682هـ، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر، القاهرة: السنة المحمدية.
- معجم المصطلحات، مطلوب، أحمد الناصري، (ت:2018م)، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، 1996م.
- معجم *لسان العرب* (مادة خبر)، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرمبن علي، (ت: 711هـ-1311م)، المطبعة الأميرية، مصر- القاهرة.

References:

- The Holy Quran.
- Linguistic Voices, Anis, Ibrahim, (died: 1977 AD - 1397 AH), 5th Edition, Anglo Bookshop, Egypt, 1975 AD.

-Al-Diwan, Al-Buhturi, Al-Walid bin Obaid bin Yahya, (T.: 204 AH-280 AH), investigation: Hassan Kamel Al-Sairafi, 2nd edition, Dar Al-Maarif.
Ammunition in the beauties of the people of the island, Ibn Bassam, Abu Al-Hassan Ali, (d.: 542 AH - 1147 AD), investigation: Ihsan Abbas, 1417 AH - 1997 AD, Dar Al-Thaqafa, Beirut - Lebanon, Part 1.
- Studies in Linguistics, Beshr, Kamal Muhammad, (T.: 2015 AD), Dar Al-Maaref. Egypt - Cairo, 1996.
-Al Diwan, Al Tatili, Abu Jaafar Ahmed Bin Abdullah, (T.
- Mukhtasar Saad al-Din al-Taftazani on the summary of the key to the preacher al-Qazwini, al-Taftazani, Saad al-Din, (T.: 1390 AD - 792 AH), Dar Al-Surour, Lebanon - Beirut.
Evidence for Miracles, Al-Jurjani, Abdel-Qaher, (T.: 471 AH), Explanation: Muhammad Abdel-Moneim Khafagy, Cairo Library, Egypt-Cairo, 1396 AH-1976 AD.
- Al-Bahr Al-Muheet fi Tafsir, Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf bin Ali Al-Andalusi, (T: 1023 AH). Investigation: Sidqi Muhammad Jamil. Dar thought for printing, publishing and distribution. Lebanon - Beirut, 1431 AH-2010 AD.
- Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad, (T -.-
Key to Science, Al-Sakaki, Abu Yaqoub Bin Bakr, (T. Lebanon - Beirut, 1983.
- Al-Kitab, Sibawayh, Amr bin Othman bin Qambar Al-Harithi, (d.: 180 AH - 796 AD), investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun. 3rd edition, Al-Khanji Library, Egypt - Cairo, 1408 AH - 1988 AD, Part 1.
-Perfection in the Sciences of the Qur'an, Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abd Al-Rahman, (d.: 911 AH - 1505 AD)، investigation: Abu Al-Fadl Ibrahim, the Egyptian General Book Organization, 1975 AD.
- Interpretation of Liberation and Enlightenment, Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher, (T.: 1973 AD)، the Tunisian Publishing House. Tunisia.
-Methods of Statement, Abbas, Fadl Hassan, (T: 2011 AD): 2nd Edition, Dar Al-Nafais for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 2007AD. Rhetoric is its Arts and Artanha (Ilm Al-Meanings), 4th Edition, Dar Al-Furqan, Irbid - Jordan, 1417 AH-1997 AD.
-Stylistic vision and application, Abu Al-Adous, Youssef, 2nd Edition, Al-Masra House for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1430 AH-2010 AD.
- Al-Sahibi in the jurisprudence of the Arabic language and its issues and the Sunnahs of the Arabs in their speech, Ibn Faris, Ahmed bin Zakaria, (T: 395 AH), investigation: Ahmed Hassan, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Lebanon - Beirut, 1418 AH - 1907 AD.
-Al-Jami' Ahkam Al-Qur'an (interpretation of Surat Al-Hadid), Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr, (T: 671 AH), investigation: Abdullah Al-Turki, 1st edition, Al-Risala Foundation, 1427 AH-2006 AD, vol. 20.
Clarification in the Sciences of Rhetoric, Al-Qazwini, Jalal al-Din Muhammad ibn Abd al-Rahman, T.: 682 AH, investigation and commentary: a committee of Arabic language professors at Al-Azhar Mosque, Cairo: The Muhammadan Sunnah.
-Lexicon of Terms, Wanted, Ahmed Al-Nasseri, (T.: 2018 AD) , 2nd edition, Library of Lebanon Publishers, Beirut-Lebanon, 1996 AD.
- Lexicon of Lisan Al-Arab (news material), Ibn Manzoor, Abu Al-Fadl Muhammad bin Makrambin Ali, (T.: 711 AH - 1311 AD), Al-Amiri Press, Egypt - Cairo.